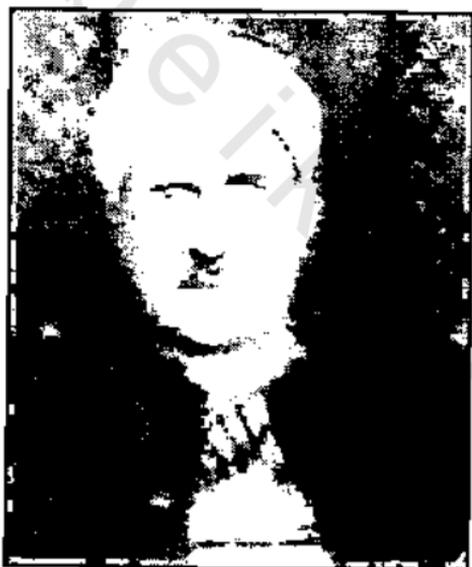


## الشيخ على محمود فى صوته كل آلات الطرب



الشيخ على محمود

هو إمام المنشدين.. استاذ فى فنه. وعلى يديه تعلم الكثيرون حتى إن الشيخ محمد رفعت صار تلميذا له واجتمعا على كف البصر وتقاء البصيرة. وطلاوة الصوت. تحس فى صوته سلما موسيقيا.. فتراه مرة عازفا للعود.. ومرة أخرى عازفا للكمان.. نعم فقد تجمعت فى صوته كل آلات الطرب.

ولد الشيخ على محمود سنة ١٨٧٨ بحارة درب الحجازى كفر الزغارى بحى الجمالية لأسرة غنية.. وبعد فترة من مولده أصيب بحادث أدى إلى كف بصره كاملا.

التحق بكتاب مسجد «فاطمة أم الغلام» وحفظ القرآن الكريم ودرس علومه على يد الشيخ أبو هاشم الشبراوى ثم جوده وأخذ قراءته على الشيخ مبروك حسنين. ثم درس الفقه على يد الشيخ عبد القادر المزنى. درس الشيخ الموسيقى على يد الشيخ إبراهيم المغربى. وعرف ضروب التلحين والعزف وحفظ الموشحات. كما درسها أيضا على يد شيخ أرباب المغانى محمد عبد الرحيم المسلوب وحيد عصره وفريد دهره فى الموسيقى. كما أخذ تطورات الموسيقى على يد الشيخ عثمان الموصلى وهو تركى استفاد منه فى الاطلاع على الموسيقى التركية وخصائصها.

صار الشيخ على محمود واحدا من أشهر أعلام مصر.. قارئاً ومنشداً ومطرباً وأصبح قارئ مسجد الإمام الحسين الأساسى وبلغ من عبقريته أنه كان يؤذن للجمعة فى الحسين كل أسبوع أذانا على مقام موسيقى لا يكرره إلا بعد سنة. كما صار منشداً مصر الأول الذى لا يعلى عليه فى تطوير وابتكار الألبيب والأنغام والجوابات.

إمام المنشدين ومعجزة التلحين والأداء الشيخ على محمود يعتبر زعيما لمدرسة الإنشاد الدينى. ولعله أجمل الأصوات التى تصافح أنغامها أذاننا.

وإذا كان الغناء العربى يحفل فى جميع مؤلفاته الغنائية بمعانى الحب والهيام والغزل وذكر أوصاف الحبيب فإن الحبيب هنا فى الغناء الصوفى هو الرسول عليه الصلاة والسلام. سواء كان هذا الغناء ينشد على الأذكار أم فى الحفلات الدينية والموائد الخاصة بنخبة النخبة من أهل البيت والصحابة والمريدين.

ونعل أجمل وأصعب نوع من الأذان المسجل بالإذاعة والتليفزيون هو بصوت الشيخ على محمود. ومن أجمل ألحانه الدينية: ته دلالة، لى من هواك. أنا فيك ذو وله. خطرت وقد خطرت بربك يا من السعد أقبل بابتسام. كم أطال الوداد، خليانى ولوعتى. سل يا أخا البدر. أدرك ذكر من أهوى. جدد الوصل.

ولقد سجلت هذه المقطوعات الغنائية على اسطوانات عدة. ومن أجمل هذه الألحان وأصعبها أداء «يانسيم الصبا تحمل سلامى».. وكان الشيخ على محمود بجرأته المستحبة قد أشرك فى تسجيلها «سامى الشوا» عازف الكمان الأول بصعوبة بالغة.

الأديب الراحل محمد فهمى عبد اللطيف له رأى فى الشيخ يقول «كان الشيخ على محمود سيد المنشدين على الذكر والمغنيين للحوالم والمدائح النبوية. وكأنى بهذا الرجل يجمع فى أوتار صوته كل آلات الطرب. فإذا شاء جرى به فى نعمة العود أو الكمان أو شدا به شدا الكروان وقد حباه الله ليلىنا فى الصوت وامتدادا فى النفس.

من أشهر النوايغ الذين اكتشفهم الشيخ على محمود القارئ العملاق  
قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت الذى استمع إليه شيخنا مرة عام ١٩١٨  
قارئاً فتنبأ له بمستقبل باهر وبكى عندما عرف أنه ضريبر.. واستفاد  
الشيخ محمد رفعت فى بدايته كثيراً من شيخنا. حتى صار سيد قراء  
مصر وصوت الإسلام فيما بعد.

هناك أيضاً الشيخ العبقرى طه الفشنى الذى كان عضواً فى بطانة  
شيخنا واستفاد من خبرته الشىء العظيم حتى صار سيد فن الإنشاد بعد  
الشيخ على محمود. بالإضافة إلى الشيوخ كامل يوسف البهتيمى ومحمد  
الفيومى وعبد السميع بيومى.

ولا ننسى إمام الملحنين الشيخ زكريا أحمد الذى كان عضواً فى بطانته  
وتنبأ له شيخنا بمستقبل باهر فى عالم الموسيقى وأمد الله فى عمره  
حتى شاهد تلميذه سيد ملحنى عصره حتى الموسيقىار محمد عبد الوهاب  
وكوكب الشرق أم كلثوم وأسمهان تعلموا منه الكثير.. فكان أستاذاً  
لكثيرين.

ترك الشيخ على محمود عدداً من التسجيلات القرآنية لسور: الأنفال  
ويوسف والكهف ومريم والأنبياء والقيامة.. وقصار السور، ومن  
الأناشيد والموشحات والأغاني: أشرق فيومك ساطع بام (مقام بياتى)  
أدخل على قلبى المسرة والفرح (مقام بياتى). ته دلالة فانت أهلا  
لذاكا (مقام هزام). خليانى ولوعتى وغرامى (مقام رست). السعد أقبل

(مقام نهاوند). هتف الطير بتحلال الصبا (مقام حجاز) أهلا بغزال  
(مقام صبا) أنعم بوصلك (مقام بياتی) سل يا أبا البدر (مقام عجم)  
يانسیم الصبا (مقام حجاز). فیا حیرة الشعب الیمانی (مقام سیکاه).  
طلع البدر علینا (مقام هزام). شکوت لخاله لما جفانی (مقام بیاتی).  
وفی الحادی والعشرین من شهر ديسمبر عام ١٩٤٦ خفت الصوت  
ووهن الجسد ودخل إلى رحاب ربه راضيا مرضيا جزاء ما قدمه خدمة  
لكتاب الله.

## الشيخ محمد رفعت رجل حفظ القرآن ببصيرته

في حوار أجراه الإعلامي الكبير أحمد سمير رئيس التليفزيون  
الأسبق سأل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عن رأيه  
فى كل من: الشيوخ محمود خليل الحصرى وعبد الباسط عبد الصمد  
ومصطفى إسماعيل ومحمد رفعت. فأجاب الشيخ الشعراوى بقوله: إن  
أردنا أحكام التلاوة فهو الحصرى. وإن أردنا حلاوة الصوت فهو عبد  
الباسط عبد الصمد وإن أردنا النفس الطويل مع العذوبة.. فهو مصطفى  
إسماعيل.

وإن أردنا هؤلاء جميعا فهو الشيخ محمد رفعت.  
نعم هو الشيخ محمد رفعت ذلك الصوت الذى تجسدت فيه كل معانى



الشيخ محمد رفعت

القرآن الكريم. صوت يخرج من القلب ليصب في قلوب المستمعين.

ولد الشيخ في عام ١٨٨٠، وبعد عامين من مولده أصيب برمد في عينيه أفقده البصر. ولكن لم يفقد العزيمة.. ورب ضارة نافعة، فتلك المحنة كانت جواز مروره إلى عالم القراء. بل جعلته أعظم من قرأ القرآن. وربما أقعدته عند وظيفة مدرس في مدرسة أو موظف في وزارة.

وقد رُزق به والده ضابط الشرطة بعد أن أصبح بأمور قسم الخليفة، وكان والده: يحمله على ذراعه ويسير به في درب «الأغوات» بحي المغربلين بالقاهرة وهو يكاد يطير فرحا بولیده الرقيق صاحب «العينين الواسعتين».

وما كان أحد يصدق وهو ينظر إلى هذا الطفل أنه «كفيف البصر».

تلقى الشيخ محمد رفعت دروسا في تفسير القرآن الكريم والقراءات السبع. وتعلم فن التجويد على يد أستاذه: الشيخ محمد البغدادي والشيخ السمالوطي. ثم اتجه أيضا صقلا لموهبته إلى دراسة الموسيقى ليتعلم قواعدها وأصولها. وحفظ مئات الأديان والتواشيح والقصائد الدينية. وتعلم مبادئ العزف على العود وبعض الآلات الموسيقية الأخرى.. وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن يكمل العاشرة من عمره.

وقد خبا له القدر مسؤولية جديدة لتضاف إليه. إذ توفي والده فأصبح يجد نفسه مسئولا عن أسرته. فبدأ يشارك في إحياء ليالي المآتم في السراقات. وهناك سمعه مشاهير القراء في تلك الفترة، وبروح الحب لندم الوليد في عالم القراء.. قدروا فيه الفن والموهبة.

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره. سعى القراء إلى تعيينه قارئاً للسورة بمسجد «مصطفى فاضل باشا» وهو مسجد صغير ملحق بمسجد «بشتك» بدرب الجمايز بالسيدة زينب بالقاهرة وكان المسجد يزدحم بالمصلين الذين كانوا يبكرون في الحضور قبل الصلاة بساعتين. - قبل أن يبدأ الشيخ التلاوة بساعة على الأقل - ليستطيعوا احتلال أماكنهم مبكرين حرصاً على الاستماع إلى الشيخ العظيم والذي ظل قرابة ٢٥ عاماً من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٣ قارئاً به حتى فاجأته «الزغطة» وأقعده المرض عن القراءة.

وكانت بالمسجد شرفة كبيرة كان يجلس بها الأجانب يستمعون إلى صوت الشيخ رفعت الساحر. وبمجرد انتهائه من تلاوة القرآن كانوا يتسابقون في النزول لتقبيل يده. فمن خلال صوته وعلى يديه أسلم الكثيرون. يقول عنه علماء الموسيقى: في صوت الشيخ محمد رفعت اجتمعت كل مميزات الحنجرة العربية من الأنغام والأوتار الصوتية الخلاقة، فضلاً عن استيعابه المذهل لمعاني القرآن الكريم. وتمثيله إياها للناس. كأنما يلمسونها بالأيدى ويرونها بالأعين. فقد أثبت بترتيله الساحر موسيقية القرآن الكريم. فشده الفريد مع تألف المعنى وقوة التصوير، مع روعة الإيحاء بسيطاً ومُعجزاً.

ومع افتتاح الإذاعة المصرية في نهاية مايو ١٩٣٤. تم التعاقد مع الشيخ رفعت للقراءة لمدة سنتين قابلة للتجديد وقد اعتبر بعض القراء في ذلك

الوقت أن قراءة القرآن الكريم بالإذاعة بدعة مضلة حتى حسم الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر وقتها الموقف بإصداره فتوى شرعية تفيد بأن قراءة القرآن الكريم بالإذاعة ليست محرمة أو مكروهة. فانضم إلى الإذاعة بعد الشيخ رفعت: الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي. ثم أبو العينين شعيشع.

ثم اتسعت الدائرة بعد ذلك فشملت عددا كبيرا من القراء. حتى أفردت الإذاعة بعد ذلك إذاعة خاصة للقرآن الكريم تطورت حتى شملت بجانب ترتيله كل علم يتصل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

روى لي الشيخ أبو العينين إنه كان شغوفا بصوت قيثاره السماء الشيخ محمد رفعت. ولذلك أخذ في بدايات علاقته بتلاوة القرآن الكريم في تقليد صوته حتى كاد السامع لا يفرق بين الصوتين. وكان يذهب إلى مسجده لسماع صوته.

وذات مرة وفد إلى مسجد «فاضل باشا» وأصر على الجلوس عند دكة الشيخ وعلى مقربة منه ولما فرغ الشيخ رفعت من القراءة أقبل عليه الناس لتقبيل يده وقال أحدهم للشيخ: هل سمعت عن ذلك الصبي أبو العينين شعيشع الذي يقلدكم؟.

فقال الشيخ رفعت: نعم سمعت وبارك الله فيه.

يقول الشيخ شعيشع: هنا اندفعت من مكاني مقبلا يده فربت الشيخ على كتفي قائلا: مين يابني قلت: تلميذك أبو العينين شعيشع. فأخذ الشيخ

يثنى علىّ ويدعو لى بالتوفيق، وقال سيكون لك شأن كبير مع القرآن. ويروى الشيخ عتريس القوصى رئيس رابطة القراء العامة أن المقاهى والنوادرى كانت تستعد لروادها مساء الاثنين والجمعة موعد إذاعة القرآن الكريم بصوت الشيخ رفعت فيزيدون من الكراسى لكثرة المستمعين. ومع ذلك فإن كثيرا من الحاضرين كانوا لا يجدون أمكنة. فيقفون فى عرض الشارع ليستمعوا إلى تلاوة الشيخ الفذ الذى تفوق على فحول القراء المعاصرين له. مع أنهم كانوا كثرة. ولهم مع ذلك قدر وشهرة واسعة.

ويقول الشيخ القوصى: عاش الشيخ محمد رفعت فى بلده مصر لم يبرحها ولم يستجب للبلاد الكثيرة التى طلبته بالحاح شديد. فقد كان قانعا. ليس من همه جمع المال. وكان عقيفا يرفض ما يقدم إليه فى مرضه على سبيل الهدايا أو العون.

ويروى أحد الصالحين من مريدى الشيخ محمد رفعت أنه دعى ذات يوم لإحياء ليلة ماتم. وأراد أهل التوفى تكريما للشيخ وحضوره أن يمنحوه فى نهاية الليلة جنيها من الذهب- بمقاييس عصره- وقد كان، وذهب الشيخ إلى بيته وقبيل الفجر سمع طرقا على الباب. ففتح أهل منزله الباب وسأل الطارق عنه فجاء الشيخ مستفسرا. فقال الرجل أنا من كنت عندهم بالأمس وقد أخطأنا عن غير قصد وأعطيناك مليما لاجنيها من ذهب. وهآآذا أرد لك الجنيه فما

كان من الشيخ إلا أن طيب خاطره قائلاً له: هذا رزق ربي والحمد لله على ما رزقني.

وأهم ما يميز قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت استيعابه المذهل لمعاني القرآن وإرتباط اللفظ بالمعنى بحيث كان يصور المعنى تصويراً يملأ شغاف قلب السامع، وكان صوته يجمع بين الخشوع وقوة التأثير. يعرف مواضع الترهيب والزجر. والتشويق والترغيب. وكان يطوع صوته تبعاً للآية التي يتلوها. فتارة تراه إعصاراً في قوة. وتارة أخرى يفيض عذوبة ورقة.

إن الشيخ رفعت في صوته ما هو إلا آية من آيات الله في خلقه. كان على عكس البعض من القراء. صوتهم يخرج من حناجرهم. ولكن صوته كان يخرج من القلب فيمس القلب.. قلب المتلقى فيحدث به هدوءاً وطمأنينة.

استطاع الشيخ رفعت كذلك بصوته الملائكى أن ينتقل بسامعيه إلى عالم الروحانيات وأرتبط صوته بشهر رمضان فما كنت تسمعه في أى وقت يتلو آيات الله أو يؤذن للصلاة. إلا تذكرت شهر الصوم. وكأنه أصبح سمة من سمات هذا الشهر الكريم.

وحتى اليوم وبعد رحيله بعشرات السنين. فما زالت آذان المستمعين على اختلاف ألوانهم تسعى إلى صوته الرخيم. وتكونت جمعيات من محبي الشيخ رفعت ومريديه قاموا بتجميع ما يقرب من ٢٧٨

اسطوانة تضم ١٩ سورة مدتها ٢١ ساعة وقدموها هدية لإثراء المكتبة الإذاعية وفاء منهم للرجل الذي كان أول من قرأ بها عند بداية افتتاحها فتعلقت القلوب بتسجيلاته الشهيرة لسور «يوسف والكهف والرحمن وآل عمران ومريم» وغيرها من السور.

وقد خرجت شهرته من نطاق المحلية والعربية إلى نطاق العالمية ويكفيه فخرا بصوته وعلمه أن إذاعات لندن وباريس وبرلين- في محاولة منها لجذب أنظار وأسماع المستمعين في العالم الإسلامي إلى برامجها ونشراتها الإخبارية- كانت تذيع تسجيلاته القرآنية أثناء الحرب العالمية الثانية.

عاش الشيخ محمد رفعت عمره في الحياة عفيف النفس، ويروى أنه كان يقرأ القرآن في سرادق عابدين. ولما فرغ من قراءته. وكانت عادة الملك في ذلك الوقت إعطاء نفحة من النقود للقراء. وطلب الشيخ رفعت لذلك فرفض في إباء قائلا إنه يقرأ القرآن لله ولذلك فلا أجر عليه.

وظل إمام القارئین يرتل آيات الله في إيمان وخشوع. وصنع لنفسه مع الناس جسرا من المحبة والمتعة الروحية. حتى قهره المرض، فاستسلم لقضاء ربه غير نادم على الحياة.. وكيف لا وقد قضاها مع كتاب الله فهو الآن في رحاب صاحب الكتاب. وسقط منه الجسد ولم تسقط الروح في عام ١٩٥٠.

ومن عجيب قدر الله أنه ولد وتوفى فى يوم الإثنين.. وكانا موافقين  
للتاسع من مايو «لعلها حكمة إلهية» رحم الله الشيخ بقدر ما أعطى  
وبقدر ما أثلج القلوب.



الشيخ رفعت بين مجبيه ومريديه